مسجد سيدي ثامر العتيق في بوسعادة
« نموذج للمساجد بالمناطق الرعوية الجزائرية »

د. عبد العزيز شهبي♦

مقدمة:

تختلف المساجد في الجزائر، من منطقة إلى أخرى، من حيث مواد البناء والعناصر المعمارية والزخرفة والتخطيط .

فالمناطق الصحراوية وشبه الصحراوية ظلت بعيدة إلى وقت قريب عن كثير من التأثيرات الخارجية، وحافظت على بساطة الأنماط الإسلامية الأولى إلى حد ما ، مما أضفى على الطراز المعماري الصحراوي وشبه الصحراوي أصالة خاصة، وجعله يتطور داخل نطاق الخصائص المميزة لكل جزء من أجزاء المبنى، حسب ما تقتضيه معطيات المنطقة وظروفها .

إن النمط المعماري للمساجد الصحراوية وشبه الصحراوية، نمط بسيط، يعبر عن إسلام بسيط، خال من البذخ وكثرة التكلف والتفنن في البناء والزخرفة. وهو طراز يقتصر على الحد الأدنى من عناصر عمارة المساجد.

تعتبر المناطق الرعوية، وهي شبه صحراوية، من أهم المناطق ذات الدلالة على الشخصية الإسلامية، ففيها تقوم المساجد البسيطة، التي تعتبر نمطا□ مميزا□ من أنماط المساجد الإسلامية. ورغم الترميمات، وإعادة بناء المساجد والتجديد، إلا أنها ظلت محتفظة بهيئتها البسيطة التي ترجع إلى العصور الإسلامية الأولى، حيث أن أغلب هذه المساجد بُني باللبن والحجارة، وسقّف بالخشب، كبساطة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة.

ورغم أن عمارة المساجد في المناطق الرعوية لم تكلّف الكثير، من التفنن في البناء والزخرفة، إلاّ أنها مساجد رائعة، تُسَكّن النفس بهيئتها وبساطتها، وتلك هي الميزة الرئيسية لها.

الخصائص المعمارية لمساجد المناطق الرعوية:

كانت الخصائص المعمارية دائما□ انعكاسا□ للبيئة الحضارية والعمرانية، التي تسود المناطق الحارة الجافة، أو شبه الجافة، وهي المناطق الصحراوية أو شبه الصحراوية الرعوية. وقد ساعدت البيئة الحارة بظروفها الطبيعية والاجتماعية على

♦ المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة – الجزائر.

توجيه الإنسان، لإيجاد نمط معماري معين متلائم معها. وبذلك ظلت العمارة في المناطق الرعوية تعبر عن الوظيفة والبيئة الطبيعية والاجتماعية السائدة.[١]

يمكن إجمال الخصائص المعمارية للمساجد في المناطق الرعوية (وهي شبه الصحراوية)، في النقاط التالية:

١- التركيز على قاعة الصلاة، والاهتمام بتخطيطها وجعلها مربعة أو مستطيلة.
٢- الاهتمام ببائكة المحراب، وجعلها أوسع أحيانا، وتقوم فيها قبة مزخرفة غلبا.[٢]
٣- التقليل من الأروقة التي تحيط بالصحن، وتسقيف الممرات للحماية من أشعة الشمس والمطر والرياح، والزوابع الرملية الكثيرة في المنطقة.
٤- تكون العقود – في الغالب – نصف دائرية، أو منخفضة، وتقوم على دعائم من اللبن، أو الحجارة المحلية .
٥- يكون المحراب مجوّفا بسيطا، وهو في الغالب محاط بإطار زخرفي من الجص.
٦- تمتاز مساجد المناطق الرعوية بمنابر خشبية بسيطة قليلة النقش والزخرفة.
٧- استخدمت في سقف قاعة الصلاة والإيوانات، المواد العازلة كالأخشاب والطوب الخفيف والجص، وذلك لعزل الحرارة التي يمتصها السقف، حيث في المناخ المشمس يستقبل السقف الإشعاع طول النهار.
٨- تتميز الجدران بالتدعيم، والبناء باللبن، والحجارة المحلية، تغشيها طبقة سميكة من ملاط الجص، وهي مواد تساعد على الحماية من الرطوبة، والعزل الحراري، وحفظ الحرارة، ومنع تأثير أشعة الشمس.
٩- تأخذ المئذنة هيئة برج، يتألف من بدن مربع، مرتفع، سميك الجدران، وينتهي البدن بشرفة، يرتفع في وسطها قطاع صغير، تختم به المئذنة، وتقام عليه قبة صغيرة. وتوضع في الغالب الشمسيات في الجدران لتضيء السّلم الداخلي. وتكون هذه الشمسيات على هيئة زخرفة جميلة، تكسر فراغ الجدران.[٣]

---

[١])- أنظر: دراف العابدي: «أثر العوامل المناخية على استهلاك الطاقة بالأحياء السكنية الجماعية في المناطق الشبه جافة – دراسة حالة مدينة بوسعادة – »، مذكرة ماجستير، جامعة المسيلة،(الجزائر)، السنة الجمعية ٢٠٠٨-٢٠٠٩ ، ص ٦٢-٦٣

[٢])- أعطى "حسين مؤنس" أهمية كبيرة للطراز المعماري في المساجد المغربية الأصيلة، أنظر: حسين مؤنس: المساجد ، عالم المعرفة ، الكويت ١٩٨١ ، ص ٢١٤ – ٢٣٣

[٣])- يمكن المقارنة بالعناصر المعمارية وتطورها، أنظر:

١٠- تظهر البوابات بسيطة مع شيء من الزخرفة في المدخل الرئيسي للمسجد.
١١- تتشابه المساجد في المناطق الرعوية وهي شبه الصحراوية، تشابها كبيرا، من حيث طرازها المعماري الإسلامي.
١٢- بالإضافة إلى أداء الصلاة، فجميع المساجد في المناطق الرعوية تستعمل لدروس الوعظ والإرشاد، وتتّخذ كتاتيب لتحفيظ القرآن.
١٣- من بين المساجد في المناطق الرعوية، يأتي مسجد سيدي ثامر العتيق في بوسعادة، والذي هو محل الدراسة، من جانب النمط المعماري .

الموقع الجغرافي لمدينة بوسعادة :

تقع مدينة بوسعادة على بعد ٢٤٢ كلم جنوب شرقي مدينة الجزائر، وهي في بوابة الصحراء الجزائرية، نظرا لكونها أقرب واحة إلى الساحل الجزائري.

وتطل مدينة بوسعادة على سهب منخفض الحضنة، وتوجد في إقليم جاف ذي طابع رعوي. وهي تشكل جزءا من الهضاب العليا، والحدود الجنوبية للسهول العليا. وبصفة عامة فهي تشكل أحد الأقطاب الرئيسية لمنطقة السهوب.[٤] (أنظر شكل١)

تمتد مدينة بوسعادة على السفوح الشمالية الشرقية لسلسلة جبال أولاد نايل ،بالأطلس الصحراوي، فهي محصورة بين كتل جبلية من الجهة الشمالية والشمالية الغربية وكذلك الجنوبية، وبين المناطق المنخفضة في الجهة الشرقية والجنوبية الشرقية، وشريط رملي ذوي اتجاه شمال شرقي- جنوب غربي. كما أنها تقع في الجهة الجنوبية لحوض الحضنة، على خط طول ٤،١١ درجات شرقا، ودائرة عرض ٣٥،١٣ درجة شمالا.[٥]

تعتبر مدينة بوسعادة من أهم المدن الجزائرية، حيث تقع عند تقاطع محورين رئيسيين، ينتميان إلى شبكة الطرق الوطنية، وهما الطريق الوطني رقم ٠٨ (الرابط بين مدينة الجزائر– مدينة بسكرة)، والطريق الوطني رقم ٤٦ (الرابط بين مدينة المسيلة – مدينة الجلفة).

تتخلل تلك الجبال في الشمال والغرب والجنوب، والسهوب في الشرق والجنوب الشرقي، شبكة من المجاري المائية، أهمها وادي ميطر، ووادي بوسعادة الذي يقطع

كمال الدين سامح : العمارة الإسلامية في مصر، ط ٣ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣، ص ٨٦ – ١١٢

[٤])- عبد القادر علي حليمي: جغرافية المغرب العربي الكبير، ط ٢ ، مطبعة البعث، قسنطينة، (الجزائر) ١٩٧٢ ، ص ٣٨- ٣٩

[٥])- دراف العابدي: المرجع السابق، ١٠١

المدينة من الجهة الجنوبية. وكانت هذه الأودية مصدرا للمياه الشرب السقي، خاصة وادي بوسعادة. [٦]

لذلك نشأت مدينة بوسعادة اعتمادا على عنصرين أساسيين هما: شبكة الطرق الوطنية، وجود عنصر الماء الذي يوفره خاصة وادي بوسعادة، وأصبحت تعتبر همزة وصل بين الشمال والجنوب الجزائري.

الظروف التاريخية:

تأثرت ناحية بوسعادة بالإسلام بعد الفتح في القرن الأول الهجري (السابع الميلادي)، وبعد القرن الرابع الهجري (العاشر للميلاد)، صارت تشكل نقطة عبور للقوافل التجارية.

ذكر "أبو القاسم محمد الحفناوي" قرية «الديس»، وهي إحدى قرى مدينة بوسعادة، على بعد ١٣ كم شمالا، فقال: « وقريتهم (أي الديس) في سفح جبل يسمى أبا العرعار من فروع جبل سالات، المذكور غير ما مرة في تاريخ العلامة ابن خلدون، وهو جبل شامخ كثير السواعد، وفيه أثار للأولين، وأقربهم إلينا في التاريخ بنو برزال المتنقلون إلى الأندلس، كما ذكره ابن خلدون، ومن فروعه جبل القليعة، وهو جبل رفيع قمته مربعة، وفي سطحها ديار كانت لأحد رؤساء زناتة، ثم صارت إلى بعض وؤساء العرب، ومنهم قتيل ذئاب في محل الرمل ». [٧]

ورد في نص "الحفناوي" ذكر "ابن خلدون" لبني برزال في جبل سالات (وهو أحد جبال بوسعادة)، وذلك عند التجاء " أبي يزيد مخلد بن كيداد" إليهم، أثناء ثورته على بني عبيد الفاطميين. [٨]

عمر مدينة بوسعادة قبائل الرحل مربي الأغنام، ثم عرب بني هلال الرحل مربي المواشي كذاك، والذين أثروا كثيرا في المنطقة. وتعتبر قبيلة أولاد نائل العربية أكثر سكان مدينة بوسعادة، وكان أفرادها في تنقل مستمر في الهضاب العليا بحثا عن المراعي لأغنامهم.

---

[٦])- عبد القادر علي حليمي: جغرافية الجزائر، (طبيعية- بشرية- اقتصادية)، ط ٢ ، مطبعة الإنشاء، دمشق ١٩٦٨ ، ص ٦٠

[٧])- أبو القاسم محمد الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر ١٩٠٦ ، ج ٢ ، ص ٢٢- ٢٣

[٨])- عبد الرحمن بن خلدون، كتاب العبر...(تاريخ ابن خلدون)، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٦٨ ، ج١، ص١٠٣ / ج٧ ، ص ص ٢٧ ، ٣٣ ، ١١١

في حدود سنة ٧٩٥هـ الموافق ١٣٩٤م، قدم الولي الصالح الشيخ سيدي ثامر بن أحمد الفاسي، إلى منطقة بوسعادة، وقام بتحفيظ القرآن وتعليم التصوف مع الشيخ سيدي سليمان بن ربيعة. ولما كثر أتباع الزاوية وتلامذتها قام سيدي ثامر بتأسيس مسجد، يجمعهم في الصلوات الخمس، وتقام فيه صلاة الجمعة. وكان بناء المسجد بمساعدة قبيلة البدرانة الرحل [٩] وفي أرضها، على ضفة وادي بوسعادة، وهي فرع من قبائل أولاد نائل. اختط سيدي ثامر منزلا لعائلته إزاء المسجد، وشيد تلاميذه وأتباعه سكنات على أنقاض قصر قديم، كان حصنا حربيا في عهد الأحتلال الروماني، فعرف الحي بعد ذلك بحي القصر.

أما المسجد فيعرف بجامع النخلة العتيق، والمسجد العتيق سيدي ثامر النخلة، وهو يعتبر أول بناء في مدينة بوسعادة مع القصر. وقد تم ترميم المسجد على يد "ابن لعموري" في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري(الثامن عشر للميلاد). [١٠]

جاء في "تعريف الخلف"، عندما تعرض "الحفناوي" لأصوله، فقال: « جاء سيدي إبراهيم السلامي من الصحراء قاصدا حج البيت واستشهد في الجزائر. ويقال أنه ساح في الصحراء ودخل توات وزاد في السياحة إلى تنبكتو، ورجع إلى المغرب الأوسط ونزال في أبي سعادة، وكانت وقتئذ قصرا صغيرا فيه دويرات وعين، ومسجد يسمى اليوم جامع النخلة وهو العتيق ». [١١] (لوحة ١)

وعرفت مدينة بوسعادة بمركزها التجاري المهم، يسوق التمر، والإنتاج الحيواني، والحلي والمجوهرات الفضية، والسجاد، وصناعات أخرى للرحل مربي المواشي، والذين كانوا يجوبون المنطقة. [١٢]

النمط المعماري لمسجد سيدي ثامر العتيق في بوسعادة

[٩])- دراف العابدي: المرجع السابق، ص ١٢٣

[١٠])- من بين رواة ذلك التاريخ: السيد "الطيب والي"، إمام مسجد سيدي ثامر في بوسعادة، التقينا به وتحدث إلينا خلال الثمانينات الماضية.

[١١])- الحفناوي: المرجع السابق، ٢٠

[12])- Youssef NACIB: Cultures Oasiennes, Essai d'histoire sociale de Bou-Saâda, ENAL, Alger 1986, p. 63 ss

لا شك أن الترميمات والإصلاحات والتوسيعات التي قد طرأت على مسجد سيدي ثامر العتيق «النخلة»، بين الفينة والأخرى، بسبب مواد البناء ونوعيته ، غيّرت من شكله وتصميمه. ومع ذلك فإن الطراز المعماري بقي يشهد على الأصالة والبساطة، على الأقل على غاية خلال الثمانينات الماضية من القرن العشرين. [١٣]

١ – التخطيط العام :

يأخذ تخطيط المسجد شكل مضلع غير منتظم، عمقه أطول من عرضه ، إذ يبلغ طوله ٢٨ م من ناحية الجدار الشمالي، وعرضه ١٩،٣٠ م. ويبلغ سمك جدرانه ٦٠ سم، ولقد بنيت باللبن والحجارة المحلية، وعليها ملاط الجص، وهي مواد بناء محلية ميزت عمران المنطقة كلها. [١٤]

ويتضمن المسجد: قاعة صلاة مسقوفة، وصحن غير واسع يتقدم قاعة الصلاة من الناحية الجنوبية، ورواق طويل من الجهة الشرقية، وقاعات صغيرة، وميضأ منفصلة عن مبنى المسجد. ولقد قمنا بوضع مسقط أفقي للمسجد حسب الوضعية التي وجدناه عليها، إذ لم تسبق دراسته من هذا الجانب. (أنظر شكل٢)

٢ – قاعة الصلاة :

تتجه قاعة الصلاة، في مسجد سيدي ثامر العتيق «النخلة»، نحو الشرق ، وهي تحتل الركن الجنوبي- الغربي للمسجد. أما تخطيطها فهو مستطيل غير منتظم، يبلغ عمقه ١٠ م. وهو طول الجدار الشمالي، وعرضه ١٧،٥٠ م. وهو طول الجدار الشرقي. أما الجدار الجنوبي فيبلغ طوله ١١م، ويبلغ طول الجدار الغربي ١١،٥٠ م. ويصل الارتفاع إلى ٣،٥٠ م .

وتشتمل قاعة الصلاة على خمس بلاطات (أروقة)، موازية لحائط القبلة، يبلغ عرض كل واحدة منها ١،٨٥ م، وتفصل بينها أربعة صفوف معقودة بالدعائم والعقود، ويبلغ طولها عرض قاعة الصلاة. وتقاطعها ثمانية أروقة عمودية معقودة، يبلغ عرض كل واحدة منها ٢ م، وتفصل بينها سبعة صفوف من الدعائم، ويساوي طولها عمق قاعة الصلاة، عدا الركن الجنوبي- الشرقي فهو مثلث الزوايا. نجد الأعمدة والعقود والبلاطات والأروقة الفوقانية، ما يشابهها في قاعات الصلاة للمرابطين، مثل الجامع الكبير بتلمسان، والجامع الكبير بالجزائر، والجامع الكبير بندرومة.[١٥] (لوحة٢)

---

[١٣]- مؤنس: المساجد، المرجع السابق.

[١٤]- دراف العابدي: المرجع السابق، ص ٧٢-٧٣

[15] BOUROUIBA R., L'Art religieux musulman en Algérie, S.N.E.D., Alger 1973, Planches IX, X, XI

وتحتوي قاعة الصلاة على ثلاثة أبواب. يتوسط باب منها الجدار الشمالي، وهو بالبلاطة الثالثة، يفتح على الرواق الخارجي، يبلغ عرضه ١،٥٠ م، وارتفاعه ١،٨٦ م. ويوجد بابان في جدار القبلة، أحدهما يواجه الرواق الثاني على يمين المحراب، يفضي إلى الصحن، يبلغ عرضه ١،٣٣ م، وارتفاعه ١،٩٢ م. أم الباب الآخر، فهو صغير بالركن الجنوبي الشرقي، يؤدي إلى حجرة. (شكل٢)

٣ – <u>الصحن</u> :

يوجد صحن في مقدمة قاعة الصلاة، من الناحية الشرقية، عمقه أقل من عرضه، وهو مثلث التخطيط، تبلغ قاعدته ٨ م، ويبلغ ضلعه القائم كذلك ٨ م.

ويحتوي الصحن على رواق في الجانب الشرقي، مسقوف بالخشب ، ويحمل السقف ثلاثة أعمدة خشبية وثلاثة جدران على شكل قاعة ثلاثية الزوايا، تبلغ قاعدتها ٥ م. وطولها ٨ م. وطول جدارها القائم بالصحن يبلغ ٣،٦٧م. كما يشمل الصحن أيضا حجرة بالركن الجنوبي، مثلثة الشكل، يبلغ ضلعها ٤ م، ولها باب يفتح في الصحن، وأخر يفتح على قاعة الصلاة. وبالركن الشمالي يمتد سلم صعودا إلى الأعلى.

ويتوفر هذا الصحن على مدخل من الرواق، في الحائط الشمالي، يبلغ عرض ١ م. ومداخل إلى قاعة الصلاة، السالف الذكر، في الحائط الغربي، يبلغ ١،٣٣ م ، وارتفاعه ١،٩٢ م. (أنظر المخطط رقم٢)

٤ – <u>رواق المدخل</u>:

يجانب مسجد سيدي ثامر العتيق «النخلة»، من الناحية الشمالية، رواق مغطى، يبلغ ارتفاعه الإجمالي ٢،٤٠ م. وهو على شكل ممر مستطيل التخطيط. وينشطر هذا الرواق عرضا إلى قسمين متكاملين، يربط بينهما ممر قصير على شكل مدخل، يبلغ عرضه ٢ م. (لوحة٣)

يقع أحد القسمين من الرواق على الجانب الشمالي لقاعة الصلاة، يبلغ عرضه ٣ م، وطوله ١٢،٨٠ م، ويحمل سقفه صفان متوازيان من الأعمدة الخشبية يبلغ ارتفاعها ٢،١٠ م. بحيث يحتوي الصف المحاذي لجدار قاعة الصلاة على ٦ أعمدة، ويحتوي الصف المحاذي للجدار الشمالي على ٨ أعمدة. ولهذا القسم بابان، أحدهما يفضي إلى قاعة الصلاة، يبلغ عرضه ١،٥٠ م. وارتفاعه ١،٨٦ م. والباب الآخر يفتح على الخارج، في الجدار الغربي، ناحية الميضأة، يبلغ عرضه ١،٥٠ م. وارتفاعه ٢،٠٥ م.

بينما يقع القسم الثاني من الرواق إلى الشرق من الأول، وعلى الجانب الشمالي للصحن ، يبلغ عرضه ٢،٥٠ م ، وطوله ١٠ م، ويرتكز سقفه على صفين متوازيين من الأعمدة الخشبية يبلغ ارتفاعها ٢،١٠ م. وبحيث يشمل كل صف منهما ٤ أعمدة. أما الأبواب فلهذا القسم من الرواق بابان، أحدهما يفضي إلى الصحن، والباب الآخر يفتح على الخارج، في الزاوية الجنوبية الشرقية، ويبلغ عرض كل منهما ١ م. وارتفاعه

١،٩٠ م. كما يفتح فيه بابان لغرفتين في الجهة الشمالية، وباب لقاعة في الجهة الرقية. (شكل٢)

٥ – الحرم:

وهو المباني المضافة للمسجد، وتشمل قاعة كبيرة وثلاث حجرات صغيرة، ويبدو أنها بنيت في فترة متأخرة لضرورة الدراسة والتعليم واستراحة القائمين على المسجد، وهي كما يلي:

- حجرة داخلية: تحتل الركن الجنوبي من الصحن، وهي ذات شكل مثلث الزوايا، يبلغ ضلعه ٥ م، ولها مدخل من الصحن، وآخر من قاعة الصلاة.

- حجرتان: تقابلان الصحن من الجهة الشمالية، وتفتحان على رواق المدخل الذي يفصلهما عن الصحن، وهما مربعتا التخطي، إذ يبلغ ضلعهما ٣،٥٠ م.

- قاعة كبيرة: توجد في الزاوية الشمالية- الشرقية من المسجد، وهي ذات تخطيط مستطيل منتظم، إذ يبلغ عمقها ٦ م، وعرضها ٧ م، ولها باب على الرواق- بجانب المدخل الرئيسي. (أنظر المخطط رقم٢)

٦ – الميضأة:

توجد الميضأة في الجهة الجنوبية خارج مسجد سيدي ثامر العتيق «النخلة»، وهي عجيبة، قد تكون فريدة من نوعها، حيث بنيت على وادي بوسعادة، ويتم الوضوء داخلها مباشرة بماء الوادي الجاري، إذ ينزل إلى مجرى الوادي بسلم. (لوحة٤)

إذا شيدت هذه الميضأة على مستوى منخفض، بتخطيط قبو مستطيل غير منتظم، يبلغ عمقه ٨ م، وعرضه ٧،٤٠ م، وتنقسم إلى ثلاثة أجزاء، تتمثل في حجرتين للوضوء، ومدخل واسع، يبلغ عرضه ٢،٧٠ م، وطوله ٧،٤٠ م. ويفضى إلى الميضأة من باب معقود يفتح نحو الخارج، يبلغ عرضه١،٥٠ م. (أنظر شكل٣) (لوحة٥)

٧ – <u>وسائل الدعم</u> :

أ – <u>الدعائم المربعة</u>:

لا توجد دعائم مربعة الزوايا في مسجد سيدي ثامر العتيق «النخلة» إلا في قاعة الصلاة، حيث يعتمد عليها السقف والعقود، يبلغ ضلعها ٠،٤٦ م، وارتفاعها ١،٨٤ م. وهي تتوزع على النحو التالي:

- تقوم أربعة صفوف منتظمة من الدعائم موازية لجدار القبلة. فيضم الصفان الأول والثاني الأماميان ٧ دعائم لكل صف منهما. أما الصفان الآخران في مؤخرة قاعة الصلاة، فيضم كل واحد منهما ٦ دعائم. يوجد ما يماثل هذا النوع من الدعائم في

قاعات الصلاة للمرابطين، مثل الجامع الكبير بتلمسان، والجامع الكبير بالجزائر.[١٦] (أنظر المخطط رقم٢)

وجميع الدعائم لا تعلوها أكتاف، ولا تتوجها تيجان. (لوحة٦)

ب – الدعائم الحائطية :

تشتمل قاعة الصلاة على سبع دعائم حائطية بجدار القبلة ، وست بالجدار الغربي، وأربع أخرى بالجدار الشمالي، بحيث ينتهي كل صف من الدعائم الربعة بدعامة حائطية عند الطرفين، وذلك تدعيم الجدران وحمل العقود والسقف، بالإضافة إلى دعامتين حائيتين بالجدار الجنوبي. ويبلغ نتوؤها ٠،٢٠ م، وعرضها يساوي عرض الدعائم المقابلة لها. (شكل٢)

ولقد بنيت الدعائم جميعها بنفس مواد البناء التي بني بها المسجد.

ج – الأعمدة :

في مسجد سيدي ثامر العتيق «النخلة»، نجد أعمدة خشبية من شجر العرعر، اسطوانية الشكل أو مستديرة، يبلغ ارتفاعها ٢ م. وقطرها ٠،١٥ م، يعتمد عليها سقف رواق المدخل والقاعة الكبيرة. ويبلغ عدد الأعمدة في الرواق ٢٢ عمودا□، وهي تتوزع على صفين متناظرين. ففي القسم الغربي من الرواق، يحتوي الصف المحاذي لجدار قاعة الصلاة على ٦ أعمدة، ويحتوي الصف المحاذي للجدار الشمالي على ٨ أعمدة. بينما يحتوي القسم الثاني من الرواق والواقع إلى الشرق، على ٤ أعمدة في كل صف. (لوحة٧)

أما القاعة الكبيرة فتشمل ثلاثة صفوف متوازية من الأعمدة، يحتوي كل صف منها على ثلاثة أعمدة.

كما نجد ثلاثة أعمدة في الجهة الشرقية – الجنوبية من الصحن. (شكل٢)

د – القواعد:

لا ترتكز الدعائم في قاعة الصلاة، والأعمدة في الرواق والقاعة الكبيرة والصحن، على قواعد.

ه- الاكتاف :

لا توجد التيجان بين الدعائم والعقود، في مسجد سيدي ثامر العتيق «النخلة». لكن الأعمدة تعلوها الأكتاف (أو الطرف)، وهي مختلفة الشكل، منها المستطيل والمثلث والهرمي المتدرج، وجميعها قاعدتها إلى الأعلى أو مقلوبة. ويبلغ ارتفاع الطرفة ٠،١٤ م، وعرضها ٠،١٦ م، وطولها ٠،٦٠ م. (أنظر شكل٤)

و– العقود :

---

[١٦] – رشيد بورويبة، رشيد الدكالي: المساجد في الجزائر، مطبعة التاميرا، مدريد (اسبانيا) ١٩٧٠، ص ١٠-١١/ ١٧

يعتمد سقف قاعة الصلاة، في مسجد سيدي ثامر العتيق «النخلة»، على عقود متجاوزة تعلو الدعائم، يساوي ارتفاعها ١،١٠ م. وعرضها ٠،٤٦ م، وقطرها ٢ م. وهي منتظمة في أربعة صفوف موازية لجدار القبلة، بالإضافة إلى صفين من العقود التي تعلو الدعائم الحائطية في جدار القبلة والجدار الغربي، وعقدين عموديين في بائكة المحراب. وهي شبيهة إلى حد ما بعقود قاعة الصلاة للجامع الكبير في ندرومة. [١٧] (لوحة٨)

ز- الشدادات :

بين دعائم قاعة الصلاة، وفي الصفوف العمودية على جدار القبلة، تقوم مقام العقود شدادات مستديرة من خشب العرعر. (لوحة٩)

٨ – السقف :

سقف مسجد سيدي ثامر العتيق «النخلة» كله بجذوع شجر العرعر. ففي قاعة الصلاة، نجد خمسة أروقة فوقانية موازية لحائط القبلة، تكونها العقود التي تحمل الأخشاب المستديرة والمتراصة كالحصير. أما في رواق المدخل والصحن والقاعة الكبيرة، فأخشاب السقف وضعت على عوارض من الخشب تحملها الأعمدة الخشبية، وعلى نسق سقف قاعة الصلاة. (لوحة ١٠-١١-١٢)

وكمعظم المساجد، تعلو بائكة المحراب قبة نصف كروية، ولكنها تنتقل من المنطقة المربعة إلى الرقبة الأسطوانية مباشرة ، بواسطة أربع حنيات محارية في أركان المربع. يبلغ ارتفاع القبة ١،٥٠ م، وهي غير مزخرفة ولا تحمل أي تحلية أو حفر. ومن الخارج تظهر القبة بيضاوية الشكل ومدببة الرأس، كقباب الأضرحة [١٨]، وهي تعلو المنطقة المربعة التي ترفع عن السفق. (أنظر شكل٥) (لوحة١٣)

٩ – المحراب :

تشتمل قاعة الصلاة، في مسجد سيدي ثامر العتيق «النخلة»، على محراب مجوف، يتوسط جدار القبلة، ويتجه نحو الشرق، وكوته نصف اسطوانية معقودة بعمق ٠،٦٦ م، وعرض ٠،٩٤ م، وارتفاع ٢ م.

وتكلل كوة المحراب نصف قبة، وتظهر ملساء يصقلها ملاط الجص.

بينما نجد إطار المحراب يزينه عقد متجاوز، يبغ ارتفاعه ٠،٧٠ م.

وتحيط الحنية المستديرة بعقد المحراب، تحليها عناص زخرفية نباتية من مراوح وتوريقات وأغصان ملتوية. وتستمر الزخرفة نحو الأسفل إلى عمودين قصيرين من الجص، يكتنفان كوة المحراب في الأسفل، أحدهما على اليمين، والآخر على اليسار،

---

[١٧] – رشيد بورويبة: عبد المؤمن، مطبعة التاميرا، مدريد (اسبانيا) ١٩٧٦، ص ١١

[١٨] – كمال الدين سامح: العمارة في صدر الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٢، ص ١٧٢-١٧٣

وهما لولبيان، يبلغ ارتفاعهما ٠،٦٥ م. ويعلو كل عمود رأس، يبلغ ارتفاعه ٠،١٥ م، وهو بمثابة شعلة شمعة، كرمز لمشكاة فيها مصباح.

وتوجد الركنيتان بين الحنية المستديرة، والحنية المستطيلة، وهما مثلثان منحنيا الضلع، يتوسط كل منهما طبق تحليه أخاديد. أما زخرفة الركنيتين فهي استمرار لزخرفة الحنية المستديرة.

وتحيط بالمحراب، الحنية المستطيلة، وتستمر على يمينه ويساره إلى الأسفل، وتزينها التحلية السابقة نفسها. (أنظر شكل٦) (لوحة ١٤-١٥)

١٠- المئذنة:

بخلاف بقية المساجد، فمسجد سيدي ثامر العتيق «النخلة» تميز بخلوه من المئذنة. كما تميز بالبساطة منذ التأسيس. فبقيت المعمارية الأصيلة على حالها من البساطة ، ولكنها متميزة بالمهارة والعظمة، ومؤثرة بدقة الانسجام، وبراعة الجمال، وهي في غاية الأناقة والجمال والتناسق الفني. وقد تكون تلك حال عمارة المسجد الذي هو بيت العبادة، ويعبر عن التقوى والخشوع.

١١ – المنبر :

في مسجد سيدي ثامر العتيق «النخلة»، توجد إلى اليمين من المحراب كوة مستطيلة، وهي كوة المنبر بجدار القبلة ، يبلغ علوها ٢،٩٤ م، وجوفها ١ م، وعرضها ٠،٨٠ م.

أما المنبر نفسه، فهو خشبي، حديث الصنع، يبلغ ارتفاعه ١،٧٦ م، وطوله ١ م، وعرضه ٦٣ سم. ويتضمن مدخلا ، وصدرا ، وسلما بأربع درجات.

يبلغ عرض المدخل ٥٠ سم، وارتفاعه ٢ م، ويتكون إطاره من قائمين، يعلوهما عقد مدبب يبلغ ارتفاعه ٤٠ سم، وقطره ٤٥ سم، وتتوجه شرافات مسننة، وقبة صغيرة يبلغ ارتفاعها ٤٢ سم، وهي تحمل مبخرة. وقد يكون التأثير الصوفي بارزا في هذا الشكل. (أنظر شكل٧)

أما الصدر فهو بسيط، يبلغ عرضه ٦٣ سم، وارتفاعه ٨٧ سم.

ولا يشمل المنبر جانبين مرتفعين أو مزخرفين. (لوحة ١٦-١٧)

١٢ – الزخرفة :

توجد في قاعة الصلاة، لمسجد سيدي ثامر العتيق «النخلة»، كوتان على شمال المحراب، وهما بمثابة خزانتين في حائط القبلة. تواجه إحداهما الرواق الثاني، يبلغ عرضها ١ م، وارتفاعها ١،٦٦ م، وعليها باب خشبي غير مزخرف.

أما الكوة الثانية فهي بين الكوة السابقة والمحراب، يبلغ عرضها ٦٠ سم، وارتفاعها ١،٩٤ م، وعليها باب خشبي مزخرف. وتتمثل التحلية فيما يلي:

- إطار يتكون من قاعدة وركيزتين وعارضة وعقد مدبب. وحفر في هذا الإطار شريط من العينات.

- شمسيات صماء محفورة في فلقتي الباب والحنية بين العارضة والعقد. وتحلي الشمسيات خطوط مستقيمة متوازية أفقيا، وأخرى مائلة، راسمة بذلك معينات ومثلثات مختلفة الأشكال والأحجام. (أنظر شكل٨) (لوحة١٨)

خاتمة:

برز النمط المعماري الإسلامي البسيط، في مسجد النخلة العتيق الذي بناه الشيخ الولي الصالح سيدي ثامر، في مدينة بوسعادة. وقد استعمل البناءون في عمارته وسائل محلية بسيطة، ولكنها في غاية الجمال والإتقان، وهي الطين والطوب اللين والحجارة المحلية، وأخشاب النخل، وشجر العرعر. ووظف المعماريون ما لديهم من مهارات في بناء المسجد، وقدموا النموذج الأمثل في العمارة والبناء الإسلامي البسيط، بفنونه وأنماطه، والذي يعود بنا إلى طراز المساجد الأولى في الإسلام، وعلى غرار مسجد الرسول (عليه الصلاة والسلام) في المدينة المنورة.

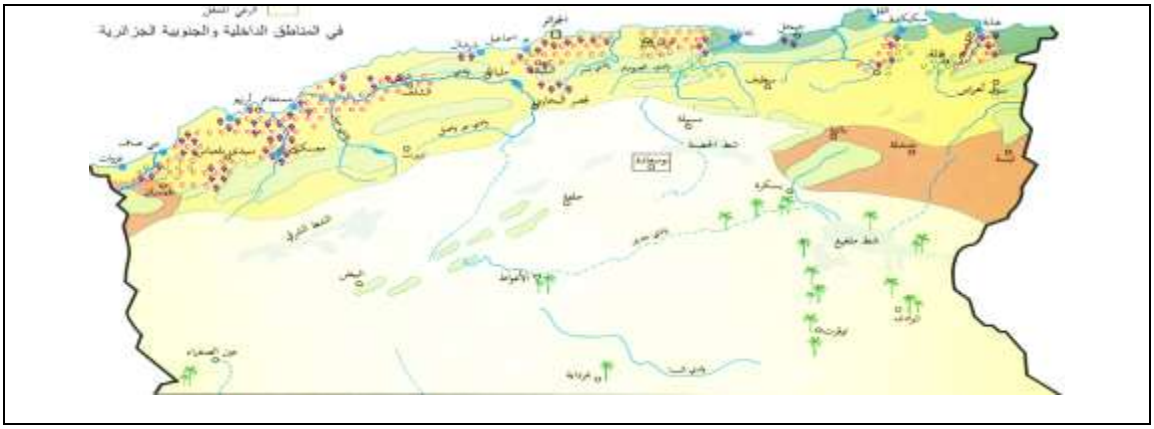

(شكل١) - خريطة تظهر موقع مدينة بوسعادة في مناطق الرعي الواسعة
المرجع: الأطلس العالمي، المعهد التربوي الوطني، الجزائر ١٩٨٣، ص ٢٦

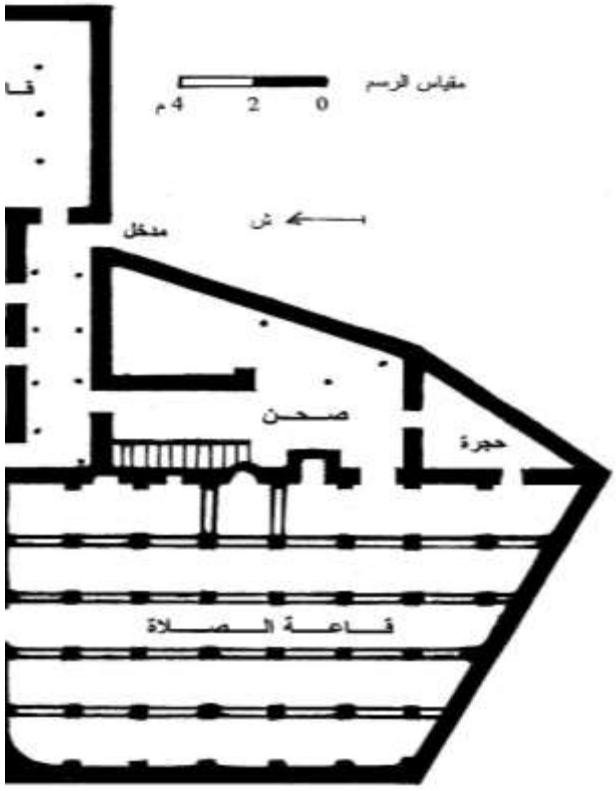

مسجد سيدي ثامر العتيق «النخلة» في بوسعادة:

(شكل ٢)

مسجد سيدي ثامر: الميضأة
(شكل ٣)

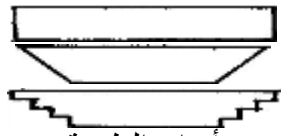

أنواع الطرفة
(شكل٤)

شكل القبة من الخارج
(شكل٥)

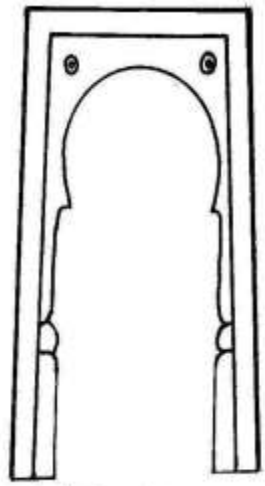

مسجد سيدى ثامر: شكل المحراب
(شكل٦)

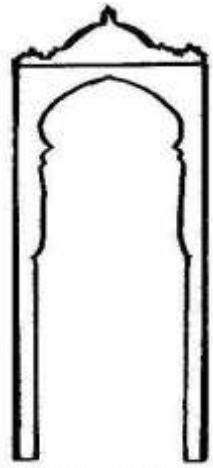

مدخل المنبر
(شكل٧)

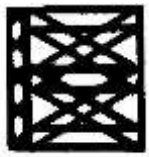

مقطع من الحفر على الخشب
(شكل٨)

مسجد سيدي ثامر العتيق «النخلة»

النمط المعماري لمدينة بوسعادة سابقا
(لوحة ١)

قاعة الصلاة
(لوحة ٢)

رواق المدخل
(لوحة ٣)

الميضأ
(لوحة ٤)

مدخل الميضأ
(لوحة ٥)

دعائم قاعة الصلاة
(لوحة ٦)

مسجد سيدي ثامر العتيق «النخلة»

أعمدة رواق المدخل
(لوحة ٧)

عقود قاعة الصلاة
(لوحة ٨)

الشدادات في قاعة الصلاة
(لوحة ٩)

خشب السقف
(لوحة ١٠)

سقف قاعة الصلاة
(لوحة ١١)

سقف رواق المدخل
(لوحة ١٢)

مسجد سيدي ثامر العتيق «النخلة»

قبة بائكة المحراب
(لوحة ١٣)

محراب ومنبر التأسيس
(لوحة ١٤)

المحراب لاحقا
(لوحة ١٥)

المنبر
(لوحة ١٦)

آخر منبر
(لوحة ١٧)

حفر على الخشب
(لوحة ١٨)